الدُّعاء عند الطعام:

بسم الله الرّحمن الرّحيم، اللَّهُمَّ بارك لنا في طعامنا هذا وارزقنا خيرًا منه. اللَّهُمّ اعنّا به على طاعتك ولا تجعله سببًا في معصيتك.

قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَكَلَ طَعَامًا فَقَالَ: الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي هَذَا وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةٍ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»[1].

وعن رَجُلٍ خَدَمَ رَسُولَ الله ﷺ ثَمَانِ سِنِينَ، أَنَّهُ سَمِعَ النّبيّ ﷺ إِذَا قُرِّبَ إِلَيْهِ طَعَامُهُ يَقُولُ: «بِسْمِ اللهِ» وَإِذَا فَرَغَ مِنْ طَعَامِهِ قَالَ: «اللَّهُمَّ أَطْعَمْتَ وَأَسْقَيْتَ، وَأَغْنَيْتَ وَأَقْنَيْتَ، وَهَدَيْتَ وَأَحْيَيْتَ، فَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا أَعْطَيْتَ»[2].

الآيات من 174-176
كتمان أهل الكتاب ما أنزل الله

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾﴾.

أسباب النزول والمناسبة

سبب نزول الآية (١٧٤): روي عن عكرمة رضي الله عنه في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾ والتي في آل عمران: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾[3] نزلتا جميعًا في يهود[4].

وعن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال: "نزلت هذه الآية في رؤساء اليهود وعلمائهم، كانوا يصيبون من سفلتهم الهدايا والفضول، وكانوا يرجون أن يكون النّبيّ المبعوث منهم، فلمّا بعث الله سيّدنا محمدًا ﷺ من غيرهم، خافوا ذهاب ملكهم وزوال رئاستهم، فعمدوا إلى صفة سيّدنا محمّد ﷺ فغيّروها، ثمّ أخرجوها إليهم، وقالوا: هذا نعت النّبيّ الذي يخرج في آخر الزّمان، ولا يشبه نعت هذا النّبيّ الذي بمكّة، فأنزل الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾ الآية"[5].

(١) رواه الحاكم في المستدرك، عن معاذ بن أنس، حديث رقم: ١٨٧٠، كتاب وباب: الدعاء، والتكبير، والتهليل، والتسبيح، الحديث صحيح.
(٢) رواه أحمد في مسنده، عن عبد الرحمن بن جبير، حديث رقم: ١٦٥٩٥، مسند: المدنيين، مسند: حديث رجل خدم النّبيّ ﷺ، الحديث إسناده صحيح.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٧٧.
(٤) ذكره الطبريّ في تفسيره، عن عكرمة، باب: يعني تعالى ذكره بقوله: إنّ الذينَ يكتمون...، ج٣، ص٦٥.
(٥) ذكره الثعلبيّ في تفسيره، عن ابن عبّاس، باب: ج٢، ص٤٧.

المعـــنى العام

يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾ وهم رؤساء اليهود وعلماؤهم، الذين كانوا يصيبون من سفلتهم ومن العرب الهدايا والتّحف على تعظيمهم آباءهم، فكتموا صفة سيّدنا محمّد ﷺ في كتبهم التي بين أيديهم ما يشهد له بالرّسالة والنّبوّة، وحرّفوها في المعنى ونزعوها من الكتاب-التّوراة-، لئلا تذهب رئاستهم وما كانوا يأخذونه، فخشوا إن أظهروا ذلك أن يتّبعه النّاس ويتركوهم، فكتموا ذلك رجاء إبقاء ذلك التّعظيم، ﴿وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ عوضًا حقيرًا يذهب ويفنى في زمان قليل،- عرض الحياة الدّنيا- وهو نزر يسير فباعوا أنفسهم بذلك، واعتاضوا عن الهدى واتّباع الحقّ، وتصديق الرّسول والإيمان بما جاء عن الله، بذلك النّزر اليسير، فخابوا وخسروا في الدّنيا والآخرة، أمّا في الدّنيا فإنّ الله أظهر لعباده صدق رسوله، بما نصَبَه وجعله معه من الآيات الظّاهرات والدّلائل القاطعات، فصدّقه الذين كانوا يخافون أن يتّبعوه، وصاروا عونًا له على قتالهم، وباؤوا بغضب على غضب، وذمّهم الله في كتابه في غير موضع، وأمّا في الآخرة ﴿أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ﴾ بسبب كتمان الحقّ، نار جهنّم تؤجّج في بطونهم يوم القيامة، لأنّها مآلهم وعقوبة أكلهم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾[٤] وعن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ شَرِبَ فِي إِنَاءٍ مِنْ ذَهَبٍ، أَوْ فِضَّةٍ، فَإِنَّمَا يُجَرْجِرُ فِي بَطْنِهِ نَارًا مِنْ جَهَنَّمَ»[١].

ولمّا كتموا ما علموا استحقّوا غضب الله ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ إهانةً وغضبًا عليهم حين يكلّم أولياءه ويسلّم عليهم، ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ ولا يطهّرهم من دنس ذنوبهم حتّى يتأهّلوا للحضرة، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ - وقَالَ أَبُو مُعَاوِيَةَ: وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ - وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ»[٢] ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ موجع.

ثمّ بيّن تعالى أنّهم باعوا الهدى واشتروا به الضّلالة ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى﴾ فاعتاضوا عن الهدى، وهو نشر ما في كتبهم من صفة الرّسول، وذكر مبعثه، والبشارة به من كتب الأنبياء، واتّباعه وتصديقه، واستبدلوا ذلك بالضّلالة، وهو تكذيبه والكفر به وكتمان صفاته في كتبهم، ﴿وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ﴾ واستبدلوا العذاب بالمغفرة التي كانت لهم لو آمنوا وبيّنوا.

ثمّ يخبر تعالى أنّهم في عذاب عظيم ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ فما أجرأهم على اقتحام النّار باقتحام أسبابها، أو فما أبقاهم في النّار، أو ما الذي أصبرهم على النّار حتّى تركوا الحقّ ومالوا إلى الباطل؟! حتّى يتعجب من يراهم فيها من صبرهم على ذلك، مع شدّة ما هم فيه من العذاب والنّكال والأغلال.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ فاستحقّوا هذا العذاب الشّديد لأنّهم تجرّأوا عليه، لأنّ الله تعالى أنزل على رسوله سيّدنا محمّد ﷺ، وعلى الأنبياء قبله كتبه بتحقيق الحقّ وإبطال الباطل، وهؤلاء اتّخذوا آيات الله هزوًا، فكتابهم يأمرهم بإظهار العلم ونشره، فخالفوه وكذّبوه، وهذا الرّسول الخاتم يدعوهم إلى الله تعالى ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، وهم يكذّبونه ويخالفونه ويجحدونه ويكتمون صفته، فاستهزؤوا بآيات الله المنزّلة على رسله، فلهذا استحقّوا العذاب والنّكال، ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ﴾ فآمنوا ببعض وكفروا ببعض ﴿لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ لفي خلاف وضلال بعيد عن الحقّ.

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٠.
(٢) رواه مسلم في صحيحه، عن أمّ سلمة، حديث رقم: ٢٠٦٥، كتاب: اللّباس والزينة، باب: تحريم استعمال أواني الذهب والفضة.
(٣) رواه مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة، حديث رقم: ١٠٧، كتاب: الإيمان، باب: بيان غلظ تحريم إسبال الإزار.

ما يستخلص من الآيات

في العقيدة

من هدي الآيتين:

١. حرمة كتمان الحقّ، لا سيّما إذا كان للحصول على منافع دنيويّة مالًا أو رئاسة.

٢. تحذير علماء الإسلام من سلوك مسلك علماء أهل الكتاب، بكتمانهم الحقّ وإفتاء النّاس بالباطل للحصول على منافع ماديّة معيّنة.

٣. وصف القرآن الكريم الدّنيا وما فيها بـ: "ثَمَنًا قَلِيلًا".

٤. من أعظم النّعيم في الجنّة، كلام الله تعالى لعباده المؤمنين، ومن أشدّ ما يعاقب الله تعالى به الكفّار، أنّه يحرمهم سماع كلامه ﷻ.

٥. كلام الله تعالى ليس كمثله شيء، ولا يشبه كلام الخلق في شيء، فهو ليس بصوت أو حرف أو لغة أو ينفرد بجهة ما، وإنّما هو من أعظم وأجمل النّعم، التي يُكرم الله تعالى بها عباده بأن يكلّمهم.

٦. الله تعالى يزكّي ويطهّر قلوب المؤمنين بما يبيّن لهم من أخطائهم يوم القيامة، وبما يريهم من حقائق الأمور، ويؤهّلهم لدخول الجنّة ورؤية وجهه الكريم، وسماع كلامه الجميل ﷻ.

٧. التّحذير من الاختلاف في القرآن الكريم لما يفضي إليه من العداء والشّقاق البعيد بين المسلمين. روى البيهقيّ عن كَثِيرَ بْنِ مُرَّةَ الْحَضْرَمِيِّ، يَقُولُ: **"لَا تُحَدِّثْ بِالْحِكْمَةِ عِنْدَ السُّفَهَاءِ فَيَكْذِبُوكَ، وَلَا تُحَدِّثْ بِالْبَاطِلِ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ فَيَمْقُتُوكَ، وَلَا تَمْنَعِ الْعِلْمَ أَهْلَهُ فَتَأْثَمَ، وَلَا تُحَدِّثْ بِهِ غَيْرَ أَهْلِهِ فَتُجَهَّلَ، إِنَّ عَلَيْكَ فِي عِلْمِكَ حَقًّا كَمَا أَنَّ عَلَيْكَ فِي مَالِكَ حَقًّا"**[١].

في الأمر والنّهي

جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: أَيُّ الْجِهَادِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: **﴿كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ إِمَامٍ جَائِرٍ﴾**[٢] فالمقصود بالجهاد في هذا الحديث، هو الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر ونحو ذلك من عبادات اللّسان، ولذلك قال: **﴿كلمة حقّ﴾**، والكلام إنّما يؤدّى باللّسان! وهذا ليس من الخروج على الأئمّة، وإنّما هو من النّصح لهم، كما قال رسول الله ﷺ: **"﴿الدِّينُ النَّصِيحَةُ﴾ قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: ﴿لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ﴾"**[٣].

وإنّما كان ذلك من أفضل الجهاد، لما فيه من المخاطرة بالنّفس وتوطينها على تحمّل الأذى في ذات الله تعالى. "وإنّما صار ذلك أفضل الجهاد، فمن جاهد العدوّ وكان متردّدًا بين رجاء وخوف لا يدري هل يَغْلِب أو يُغلَب، وصاحب السّلطان مقهور في يده، فهو إذا قال الحقّ وأمره بالمعروف فقد تعرّض للتّلف وأهدف نفسه للهلاك، فصار ذلك أفضل أنواع الجهاد من أجل غلبة الخوف"[٤].

(١) رواه البيهقيّ في شعب الإيمان، عن كثير بن مرّة، حديث رقم: ١٦٣٠، كتاب وباب: نشر العلم وأن لا يمنعه أهله.
(٢) رواه أحمد في مسنده، عن طارق، حديث رقم: ١٨٨٢٨، مسند: الكوفيين، مسند: حديث طارق بن شهاب، الحديث إسناده صحيح.
(٣) رواه مسلم في صحيحه، عن تميم الداريّ، حديث رقم: ٥٥، كتاب: الإيمان، باب: بيان أنّ الدين النصيحة.
(٤) ذكره الخطابيّ في معالم السُّنن، باب: الأمر والنهي، ج٤، ص٣٥٠.

وقد فصّل الإمام الغزاليّ درجات الأمر بالمعروف، وأنّ أوّله: "التّعريف، وثانيه: الوعظ، وثالثه: التّخشين في القول، ورابعه: المنع بالقهر في الحمل على الحقّ بالضّرب والعقوبة، والجائز من جملة ذلك مع السّلاطين الرّتبتان الأوليان، وهما: التّعريف والوعظ، وأمّا المنع بالقهر: فليس ذلك لآحاد الرّعيّة مع السّلطان، فإنّ ذلك يحرّك الفتنة ويهيّج الشّر ويكون ما يتولّد منه من المحذور أكثر، وأمّا التخشين في القول كقوله: يا ظالم، يا من لا يخاف الله، وما يجري مجراه، فذلك إن كان يحرّك فتنة يتعدّى شرها إلى غيره لم يجز، وإن كان لا يخاف إلا على نفسه، فهو جائز، بل مندوب إليه، فلقد كان من عادة السّلف التّعرّض للأخطار والتّصريح بالإنكار من غير مبالاة بهلاك المهجة والتّعرّض لأنواع العذاب لعلمهم بأنّ ذلك شهادة"[١].

قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: ﴿سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، ثُمَّ رَجُلٌ دَخَلَ إِلَى إِمَامٍ، فَأَمَرَهُ وَنَهَاهُ﴾[٢].

في الأخلاق والآداب

من الأخلاق المحمّديّة: الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر

هذا الخُلُق مُستمدٌّ من اسمي الله تعالى **"النّور الهادي"**.

والتّخلّق باسم الله "**النّور**" هو بالسّعي إلى إخراج نفسك وأحبابك والنّاس من الظّلمات إلى النّور: من ظلمات الجهل إلى نور العلم، من ظلمات الوهم إلى نور الفهم، ومن ظلمات الهوى إلى نور التّقوى، ومن ظلمات الأخلاق الذّميمة إلى نور الأخلاق المحمّديّة.

والتّخلّق باسم الله "**الهادي**" هو بإرشاد العباد إلى مصالحهم الدّينيّة والدّنيويّة جملة وتفصيلًا.

- فعند رؤية الفساد وانتشار المعاصي والرّشاوى وأذيّة الطّبيعة أو الأملاك الخاصّة، ليس المطلوب فقط أن تشتكي وتستنكر، ولكن أن تعمل وتغيّر. فالمطلوب التّغيير لا الاعتراض للاعتراض، شرط أن تنصح بأسلوب جميلٍ راقٍ يناسب مجتمعك حتّى لا ينفروا منك، وأن تعمل على نشر الوعي والأخلاق المحمّديّة.
- الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر فنٌّ وذوق وحكمة تصل بها إلى الإصلاح، وهذا لا يكون إلا بالنّصيحة والدّعوة إلى فعل الطّاعات وترك المعاصي، وتبيين الصّواب من الخطأ بشرط أن يكون بحلم وعفو وحكمة، قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ﴾[٣] وقال رسول الله ﷺ: ﴿مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ﴾"[٤]. فأفضل ما يمكن نشره بين النّاس، هو الأخلاق المحمّديّة بشتّى الوسائل المتاحة لك. ولكن عليك أن تتخلّق بها وتطبّقها على نفسك أوّلًا أي أن تغيّر نفسك أوّلًا، وإلّا قيل لك كما جاء في كتابه العزيز: ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ ما لا تَفْعَلُونَ﴾[٥].
- وعليك أن تبدأ بالدّائرة الصُّغرى، أي بأقرب النّاس إليك **(عائلتك، أولادك...)** اتّباعًا لحديث رسول الله ﷺ: ﴿كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ﴾[٦]، ثمّ المجتمع **(في محيط عملك،الأصدقاء، الشّارع...)**، على أن يكون النّصح

(١) ذكره الغزاليّ في إحياء علوم الدين، كتاب: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، باب: أمر الأمراء والسلاطين ونهيهم عن المنكر، ج٢، ص٣٤٣.
(٢) رواه أبو حنيفة في مسنده، عن ابن عبّاس، حديث رقم: ١٧، كتاب: الفضائل والشمائل.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.
(٤) رواه مسلم في صحيحه، عن أبي سعيد، حديث رقم: ٤٩، كتاب: الإيمان، باب: بيان كون النّهي عن المنكر من الإيمان.
(٥) سورة الصّفّ، الآية: ٢.
(٦) رواه البخاريّ في صحيحه، عن عبد الله بن عمر، رقم الحديث: ٨٩٣، كتاب: الجمعة، باب: الجمعة في القرى والمدن.

بحبّ، كحبّ الوالد لولده، و قصدك التّغيير لا الإنكار.

- حاذر من الخطر الذي يُحدق بهذا الخلق! فقد تتعالى على من هو دونك بالمعرفة والعلم، وترى نفسك أفضل منه وأنت تعظه، فتُبتلى بالكبر والعجب، وتقع في الهاوية! فاعلم أنّك مقصّر في أخلاق كثيرة ولست معصومًا عن الخطأ، فانصح النّاس وأنت تراهم خيرًا منك.

بادرْ بالنّصحِ بأسلوبٍ جميلٍ راقٍ يُناسبُ مُجتمعَكَ حتّى لا ينفروا منك، وأدِّ النّصيحة سرًّا ما استطعت، فإن كانت هناك مصلحة من النّصح جهرًا فلا تُسَمِّ أحدًا بعينه ووجّه الخطاب للعموم.

- لا تنهَ عن شيء إلّا إذا كان مُتّفقًا عليه ولم يختلفْ عليه العُلَماء.
- لا تتجسّسْ على النّاس بنيّةِ إصلاحِهم، فَمن يعصِ الله سرًّا، فإنّ الله وحدَه يحاسبُه. أمّا مَن عصاه مُجاهرًا فقد تعدّى ضَرَرُه إلى الغير وكان قُدوةً سيّئةً لهم.
- واعلم أنّ الرّفق شرطٌ مهمّ، كذلك الحلمُ والعفوُ والحكمةُ، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾[1]،
- وعليك أن تتحلّى بالصّبر إذا صدّك أحدهم بطريقةٍ فظّة، أو استهزأ بحديثِك.
- أمّا إذا كنت أنت من يتلقّى النّصيحة، فعوّد نفسك وروّضها على تقبّل النّصيحة مع شكر النّاصح والدُّعاء له. ولا يتحقّق ذلك إلّا بتحقير نفسك وتصغير محاسنك. وهذا معنى: **"اللهمّ اجعلني في عيني صغيرًا، وفي أعين النّاس كبيرًا"** أي اللهمّ استر عيوبي عن النّاس.

في السّيرة والشّمائل

في السّلوك

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا...﴾[2]

الإشارة: كلّ من كتم علمه، ولم ينشرْه إلا في مقابلة حظّ دنيويّ، صَدَق عليه قولُه تعالى: ﴿وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ﴾. فعنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، قَالَ: عَلَّمْتُ رَجُلًا الْقُرْآنَ، فَأَهْدَى إِلَيَّ قَوْسًا، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: ﴿إِنْ أَخَذْتَهَا أَخَذْتَ قَوْسًا مِنْ نَارٍ فَرَدَدْتُهَ﴾[3] ولعلّ هذا من باب الورع، فأراد النّبيّ ﷺ أن يرفع همّة ذلك الصّحابيّ، وإلا فقد ورد في الحديث: ﴿إِنَّ أَحَقَّ مَا أَخَذْتُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا كِتَابُ اللهِ﴾[4].

فالعلماء مُطَالَبُون بنشر دلائل العلم، والأولياء مأمورون بحفظ ودائع السّر، فإنْ كَتَم هؤلاء براهين العلوم ألجموا بلجام من النّار، وإن أظهر هؤلاء شطيّة من السّرّ عُوجِلُوا ببعاد الأسرار، وسَلْبِ ما أوتوا من الأنوار. ولكُلٍّ جدٌّ، وعلى كلّ أمرٍ قطيعة.

(١) سورة النحل، الآية:١٢٥. (٢) سورة البقرة، الآية: ١٧٤.

(٣) رواه ابن ماجة في سننه، عن أبيّ بن كعب، حديث رقم: ٢١٥٨، كتاب: أبواب التجارات، باب: الأجر على تعليم القرآن.

(٤) رواه البخاريّ في صحيحه، عن ابن عبّاس، حديث رقم: ٥٧٣٧، كتاب: الطبّ، باب: الشرط في الرقية بقطيع من الغنم.

في الإعجاز العلميّ

في أشراط السّاعة

قال رسول الله ﷺ: «يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلْفٍ عُدُولُهُ، يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ»[1].

وعنه ﷺ قال: «لا يَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ»[2].

وفي رواية مسلم: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ»[3].

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الدِّينِ ظَاهِرِينَ لِعَدُوِّهِمْ قَاهِرِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ إِلَّا مَا أَصَابَهُمْ مِنْ لَأْوَاءَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَأَيْنَ هُمْ؟ قَالَ: «بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ وَأَكْنَافِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ»[4].

في الأدعية والأذكار

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ إِذَا صَلَّى الصُّبْحَ حِينَ يُسَلِّمُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا، وَرِزْقًا طَيِّبًا، وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا»[5].

(١) رواه الطّبرانيّ في مسند الشاميّين، عن أبي هريرة، حديث رقم: ٥٩٩، كتاب: ما انتهى إلينا من مسند عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، باب: ابن جابر، عن علي بن مسلم البكريّ، الحديث حسن لغيره.

(٢) رواه البخاريّ في صحيحه، عن المغيرة بن شعبة، حديث رقم: ٧٣١١، كتاب: الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: قول النّبيّ ﷺ: "لا تزال طائفة..."

(٣) رواه مسلم في صحيحه، عن ثوبان، حديث رقم: ١٩٢٠، كتاب: الإمارة، باب: قوله ﷺ: "لا تزال طائفة..."

(٤) رواه أحمد في مسنده، عن أبي أمامة الباهلي، حديث رقم: ٢٢٣٢٠، مسند: تتمة مسند الأنصار، مسند: حديث أبي أمامة الباهليّ الصديّ بن عجلان، الحديث صحيح لغيره دون قوله: "قالوا: يا رسول اللّه..."

(٥) رواه ابن ماجة في سننه، عن أمّ سلمة، حديث رقم: ٩٢٥، كتاب: أبواب إقامة الصلوات والسنّة فيها، باب: ما يقال بعد التسليم.